

المصباح

١٣١٥

﴿ مصر في يوم السبت ١٢ رمضان سنة ١٣١٧ - ١٣ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٠ ﴾

﴿ اقتراح على السادة العلماء ﴾

(في تقويم اعوجاج الوعاظ والخطباء)

﴿ لحضرة الكاتب الفاضل صاحب الامضاء ﴾

ما أصيب الاسلام بأفة كافة الخطباء وما أضر بالمسلمين كوعاظهم
الجهلاء الذين كانوا ولم يزالوا سببا لحيرة العقول في ادواء هذه الامة وهم
مصدر البلاء وسبب الشقاء بما يتأونه على مسامع العامة من السجعات المقلوبة
والاحاديث المكذوبة الداعية الى استدراج العامة في الشرور اعتمادا منهم على
ما يسمعون من أولئك الوعاظ والخطباء من الاكاذيب المضلة كقولهم من قرأ
كذا فله من الثواب كذا وكذا ومن صام اليوم الفلاني مثلا فله من الحسنات
كذا ومن فعل كذا غفر الله له ما تقدم وما تأخر من ذنبه فانتزعوا بهذا (الاطلاق
المجمل) وأشباهه باعث الرهبة من أعماق القلوب ونزعوا وازع الضمير من
نفوس العامة فبات أحدهم يقدم على جريرة الكذب والتزوير أو السرقة أو
الفحش ونحو هذا في الظاهر ثقة بما سيناله من الثواب والقرآن بتلاوة بمض
كلمات في العصر فينام ايله مطمئن القلب الى الثواب غير مرتاع الفوائد من

سوء المآب. وهذا ما أوصل الأمة الى ما نراها فيه من فساد الاخلاق والضمائر
واجتراح الآثام والجرائر. حتى كادت تكرر أحط الامم في الاخلاق وأبعدها
عن مراعاة حاكم الضمير بما فشا في كثير من طبقاتها من القول الزور
والكذب وعدم المبالاة باكبر الكيابر بعد ان كانت أعلى الامم وأعرقها في
طيب الاخلاق وأدناها من الانتياد لحكم الضمير ومراقبة الله تبارك وتعالى
في سائر الاعمال وكل الاحوال. ولعمري لو قيل للناس ان التائبون السلطاني
يرتب على السارق جزاء كذا وكذا مدة في الحبس لكن من تقرب الى السلطان
بهدية لطيفة أو ترلف اليه بدعاء بسيط يدعو به اليه بين يديه يعفو عنه ويغفر
له جرئته لا يصبح الناس كلهم لصوصا

فحتام يترك هذا الجبل على الغارب ومتى نستيقظ لما فعلته في النفوس
سموم الخطباء والوعاظ واوزاع الوضاع وقتن المبتدعين فقد والله تكاد تنفطر
من عقلاء هذه الامة القلوب وتتصاعد ارواحهم مع الانفاس لما يرونه من
آثار هذه البدع التي عفت دونها آثار الاسلام وتلاشت قوى الصادعين بالحق
ولم يكف أولئك الاغرار المضلين هذا الوهن الذي يدخلونه بامثال تلك
المواعظ والخطب على النفوس حتى زادوا في طين البلاء بلة بما يبدوث به
العامه عند كل دعاء لهم ويتلون عليهم في رأس كل خطبة من الحث على الزهد
وترك الاهتمام بامر الدنيا بجمل مسجعة لا تفيد معنى الزهد الحقيقي المنصوص
عليه في الشريعة الفراء بل تفيد التحاق الانسان بالبهيمة العجاء وقد فات
أولئك الاغرار ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الانسان وميزه بالعقل والارادة
على سائر الحيوان وجعله خليفة في الارض بما منحه من حق السلطان المطلق
على هذا الوجود الحسي فقال تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك

فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلمكم تشكرون . وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (لم يكن يريد
به ما يريد له أو تلك الوضاع والخطباء وأصدقاء الاسلام الجهلاء من التجرد
عن كل عمل دنيوي والقعود عن السعي والانقطاع للعبادة للاتحاق بعالم
الملائكة الأبرار ولو أراد الله به هذا خلقه معهم وكفاه مؤنة جهاد الطبيعة
والعمل لحفظ الحياة فلا يابس ولا يأكل ولا يشرب ولا يشقى ولا يتم
ولكن قضت ارادة الله تعالى في خلق هذه العوالم وترتيبها على نغتها البديع
ان يكون كل عالم منها ذا حياة خاصة وحيز مخصوص وعمل محدود ووظائف
خاصة فالملائكة من هذه الخصوصيات غير مالا انسان وللا انسان غير
مالي حيوان ولهذا غير الملهجاد وهكدا سائر العوالم . واذا تتبعنا نصوص الكتاب
الكريم واستقرينا احوال المخلوقات نجد ان الله سبحانه وتعالى ميز الانسان
عن سائر مخلوقاته بما وهبه من المواهب التي لم يهبها لسواه فقال تعالى (خلقنا
الانسان علمه البيان) وقال تعالى (علم الانسان ما لم يعلم) وقال تعالى (ولقد
خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وقال تعالى « وهديناه النجدين » وقال تعالى
(وعلم آدم الاسماء كلها) فاذا كان الله سبحانه وتعالى وهب الانسان كل هذه
المواهب الدالة على تكليفه بالعمل بما يقتضيه وجودها فيه ثم جعله خليفة في
الارض وأشار الى انه أوجده فيها ليعمرها فقال تعالى (واستمركم فيها)
وذلك لتكون مناط الامل في الاعتياش بالعمل فيها والضرب في أكتافها
كما قال تعالى (فاهشوا في ننا كبا وكلوا من رزقه واليه النشور) وكما قال
تعالى « الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله
ولعلمكم تشكرون » وكما قال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)

فهل في طاقة البشر الانسلاخ عن هذه المواهب والصفات الانسانية والتخاف عن تلك السنن الالهية زهداً في الدنيا وتعطيلاً لوظائف الحياة البشرية؟ وإذا كان في طاقتهم تعطيل هذه الوظائف وعطاولها أفلا يكون ذلك كفراً منهم بنعم الخالق تعالى التي أنعم عليهم بها وخصهم بمواهبها؟ بلى وأبيك ذلك هو الكفران المبين ولكن أكثرهم لا يعلمون

نعم قد ذم الله تعالى الغرور بالدنيا والطمع فيها والاكثار من المال أو التكاثر به وما جاء من النصوص في الكتاب والسنة من هذا القبيل إنما جاء لا لاجل تزهد المسلمين في الدنيا وتركهم الاهتمام بشؤون الرزق والسعي في منابك الارض بل جاء لامرين الاول تنبيه المسلمين الى ان العمل في الدنيا لا ينبغي ان يشغل المؤمن عن طاعة الله واداء ما أوجبه من العبادة عليه والامر الثاني تنبيه فئة مخصوصة من الناس وهي فئة الاغنياء وذوي السلطة الى ان متاع الدنيا أحقر وأدنى مما أعد للمؤمنين الصالحين في الآخرة وان الامر الاول يزول وينفي والثاني يدوم ويبقى ترغيباً لهم في انفاق المال في وجوه البر ومواساة من دونهم من الناس حتى لا يكثروا من المال ويجملوه دولة بينهم يتكاثرون به ويتداولونه دون الفقراء فنقف حركة الاعمال بوقوف حركة المال وفقده من أيدي الكثير من الناس فحكمة الشارع في هذا أجل وأعظم مما يذهب اليه فريق اللوضاع والكذابين في أمر الزهد وما يخاطبون به العامة ويثبونه في عقولهم من فاسد الاعتقاد المشبب لهم القاتل لقوة النشاط والعمل الجالب للبلادة والكسل لهذا كان من الظلم الفاحش والجهل العظيم مخاطبة أولئك الخطباء عامة الناس بالزهد في الدنيا والتزهد بالعمل الذي هو وسيلة الكسب ومناجاة الأرتزاق وإنما يجوز مخاطبة العلية من الناس والاغنياء

منهم بهذا أولا لما فيه من الترغيب بمواساة الفقراء والتحذير من عاقبة الانهماك
بالمال والاشتغال به عن اداء الطاعة وثانيا لان الزهد انما يكون بشيء موجود
لا بشيء مفقود فالغني اذا زهد فانما يزهد بدنيا مقبلة عليه فيواسي بماله من
هم في دنيا مدبرة عنهم فينال الثواب ويأمن من العقاب . وأما الفقير فزهده
ليس فيه شيء من ذلك بل فيه مضرة عليه فيحرم عليه قطعا لان الفقير
المعتمد زاهد بالضرورة لقلّة ما بين يديه فاذا زهد بلسان الشرع ازداد يقينا
بفضل الزهد والراحة من عناء الكد بالانقطاع الى العبادة (اللهم اذا كان
يعرف شيئا منها) فننعمد منه الرغبة بالعمل وينطبع على البلادة والكسل
فينقلب الزهد والعبادة وبالا عليه وظلما لمن يعول من الاهل والولد عليه
وهو لا يعلم ان السعي في اعادة من يعول ولو نفسه وحدها هو أفضل عند
الله ورسوله من الانقطاع للعبادة بانفاق النصوص واجماع هداة الامة من
علمائها الاعلام

الزهد من شعار الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ومع ما كان ممر وفا
به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الزهد في الدنيا بخذا فيرها فقد كان من
صحابته الكرام الغني ذو الثروة والجاه كطلحة والزبير والتاجر المشتغل كعثمان
رضي الله تعالى عنهم أجمعين فلم يأمرهم بترك الدنيا والانقطاع للآخرة بل
أمرهم بالرفق في الطلب والآسكان الصحابة كلهم عبادا بالجوامع والصوامع
ومعاذ الله ان يكونوا كذلك والاسلام دين العمل للدنيا والآخرة ودين الجد
والنشاط لادين الرهبانية والزهد وانما تبع قدم الرسول في أمر الزهد أفراد
منهم مثل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومع هذا فقد كان يقول
(لا يقعد أحدكم عن طاب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء

لا تخطر ذهبا ولا فضة ، فاذا كان مثل عمر بن الخطاب على ورعه وزهده
يخاطب الناس بمثل هذا الخطاب وهو في عصر النبوة وأدري بمن يخاطب
ولماذا يخاطب فليت شمري كيف يجرا خطباء السوء في هذا العصر على
مخاطبة العامة بالزهد والتزهيد في الكسب ونحن في عصر أصبح فيه السابقون
هم الفائزين وفي زمن من نام فيه فقد مات

أفلم يأن لعلماء المسلمين الاعلام وفضلاهم الكرام ذوي العقول والافهام
الاقتداء بمثل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في حث الناس على العمل
والسعي ونهي خطباء السوء عن التشديق على المنابر بما لا يزيد المسلمين في
هذا العصر الا خبالا . نعم قد آن والله أوان نهوض العلماء الى تلافي خطب
الخطباء ونزع وظيفة الخطابة والوعظ من الجهلاء ووضعها في أناس جموا بين
المنقول الصحيح والمقول الصريح وعرفوا حاجات الزمان ووقفوا على أدواء
الامة وان لم يتيسر هذا فتتقح كتب الوعظ ودواوين الخطب المحشوة
بالكذب على الله والرسول الموضوععة على نمط روعي فيه السجع أكثر من
مراعاة الشرع وامتزج بالخيالات والاهام أكثر مما أبان من مقاصد الاسلام
يحسدنا الامم والشعوب على مشروعية الخطابة في الاسلام ويجابون
من أمة تلي على منابرها في كل جمعة آلاف من الخطب في سائر أنحاء الديار
الاسلامية وهي لا تنتفع بها فتخطو خطوة الى الامام واذا تيسر لفرء من
أفراد أي أمة من تلك الامم والشعوب ان ينهز في العمر فرصة يخاطب فيها
خطبة على جمهور من الناس في محفل من المحافل يرن صداها في الآفاق
وربما أحدثت في الافكار مالا تحدثه الجيوش الفاتحة في الامصار
ويتسألون . هل علمت مشروعية الخطابة في الاسلام عن أفهام المسلمين ؟

أم هم تدنو عن مقامها العلي المتين؟ وحقهم ان يتسألوا فانا لله وانا اليه راجعون اه
رثيق العظم

﴿ الصيام والتمدن ﴾

٢

﴿ الذين آمنوا كتبنا عليهم الصيام كما كتبنا على الذين من قبلكم لعلهم يتقون ﴾

ذكرنا في المقالة الاولى من فوائد الصيام صحة البدن بترويضه وصحة النفس بتأديب الشهوة وامتلاء زمامها بحيث يصير الانسان حاكما على شهواته يسيرها في منهاج الادب والشرف الذي يحدده الشرع والنقل لا يحكموا بها كالهمم والدواب . بل الانسان يكبرن شرا من البهائم اذا هو لم يؤدب شهواته ويملك على نفسه امرها لان باري العالمون قد اودع في فطرة البهائم الوقوف عند حدود الاعتدال في تناول شهواتها فلا تأكل ولا تشرب ولا تسافد الا عن داعية الطبيعة ومتى استوفت طبيعتها حقها من ذلك تكف عنه من طبعها ولا تحمّل نفسها بالافراط مالا تطيق ولا تتخذ الوسائل والحيل لاذكاء نار الشهوة فتمتع باكثر مما يقتضيه المزاج المعتدل فيقضي عليها قانون (رد الفعل) بعد ذلك بالاضمف أو الخمود . وخالق الله الانسان ذا فكر يجاهد به الطبيعة ويقاومها تارة بما ينفعه وتارة بما يضره تختلف أحواله في هذا بحسب صحة الفكر وسقمه وسعة المعارف وضيقها . ألم تر ان اكثر ما يصاب الانسان من الامراض والاسقام والادواء التي تنتهي بالموت قبل بلوغ العمر الطبيعي هو من الافراط في الطعام او الشراب او الوقاع الذي يستعين عليه بما يعطيه الفكر من الوسائل والحيل . بالامس احتطفت الميتة شابا في ريعان الصبا وعنفوان الشباب فبقر الاطباء بطنه واستلوا امعائه فبين لهم انه مات مسموما بالاكثر من علاج تناوله لتقوية البياض - مسلم فعل هذا في شهر الصيام وزمن تأديب الشهوة فانا لله . والبهائم تستوفي آجالها الطبيعية في الغالب متمتعة بالصحة واعتدال المزاج واذا عرض لمرضها المرض أو الموت قبل الاجل الذي خلقها الله تعالى مستعدة لبلوغه فانما يكون ذلك في الغالب لامر خارجي كنفقد الغذاء أو شدة البرد . لهذا كانت سعادة الانسان متوقفة على تربية صحيحة واعليم قويم ولا يوجد هذان على